المحاضرة الثالثة:

النظرية الو اقعية الجديدة

حاولت الواقعية(تقليدية، جديدة/بنيوية)، تقديم تفسيرات مقبولة لما يحدث في العلاقات الدولية، ونقطة الاشتراك بينهم، القول بتأثير معطيات البيئة الدولية على سلوكيات الفواعل الخارجية، إلا أن هناك اختلاف يتعلق بمواقفهم حول طبيعة الفصل ما بين السياسة الداخلية والخارجية، بحيث نجده صلبا مطلقا عند أنصار الواقعية التقليدية والجديدة البنيوية مع كينيث والتز، في حين يذهب أنصار الواقعية الجديدة إلى تخفيف حدة هذا الفصل، والقول بتأثير المحددات الداخلية للدولة وأهميتها في فهم السلوك الخارجي إلى جانب المحددات الخارجية.

تعد الواقعية الجديدة أو البنيوية أو العصرية امتدادا للواقعية التقليدية في الثمانينات، ومن أبرز كتابها (**كينيث والتز، ستيفن كريزنر، روبرت جبلين، روبرت تاكر، جورج مودلسكي**)، ويسعى هؤلاء إلى تقد يم نظرية علمية موضوعية للعلاقات الدولية وذلك عكس الواقعية التقليدية.

في السبعينيات انتقدت أطروحات الواقعية التقليدية، بسبب منهجيتها السلوكية، التي تمحورت حول سلوك الدولة – العنصر الأساسي في تقديرها- في السياسة الدولية، وأخفقت في استيعاب الواقع الحقيقي على أنه "نظام System" له بنيته Structure، وبالغت في تفسيرها للمصلحة، ومفهوم القوة، وأغفلت سلوك المؤسسات الدولية وأطر علاقاتها الاعتمادية في جوانبها الاقتصادية.

وبغية تكييف الواقعية التقليدية مع التطورات في السياسة الدولية ظهرت الواقعية الجديدة، وهي اتجاه داخل الواقعية طوره **والتز** وأطلق عليه اسم **الو اقعية البنيوية/ الهيكلية**.

بناء على ما سبق، جاء طرحنا **للتساؤل التالي:**

ما هي أبرز الإسهامات النظرية والمفاهيم الأساسية التي قدمتها الو اقعية الجديدة بأوجهها البنيوية والدفاعية والهجومية في تفسير العلاقات الدولية؟

أولا: النظرية الو اقعية الجديدة/البنيوية Structural Realism

1. تعريف النظرية الو اقعية الجديدة/البنيوية:

-تمثل الواقعية الجديدة المرحلة الأبرز بين مراحل تطور النظرية الواقعية.

-هي مقاربة بنيوية Structural ترى أن بنية النظام الدولي الفوضوية هي المحدد الأساسي لسلوك الدول، لا الطبيعة البشرية كما افترضت الواقعية الكلاسيكية.

-تركز على توزيع القدرات بين الوحدات (الدول) كمحدد رئيسي للقوة والنفوذ.

- تعرف بالواقعية الجديدة، أو الواقعية البنيوية أو الهيكلية، كنهج في العلاقات الدولية، وإحدى تطورات النظرية الواقعية، ظهرت في سبعينيات القرن العشرين، وجاءت في إطار انتقاد طرح الواقعية التقليدية، بسبب تركيزها على سلوك الدولة وصانع قرار السياسة الخارجية، حيث اعتبرت الواقعية الجديدة أن فهم سلوك صانع القرار في السياسة الخارجية غير كافي لإدراك التفاعلات الدولية.

- تأسست النظرية الواقعية الجديدة على يد **كينيث والتز**/ من خلال كتابه الشهير: **نظرية السياسة الدولية** عام 1979.

- يتمثل المنطلق الفكري الأساسي للواقعية الجديدة في **البنية الفوضوية** للنسق الدولي، والتي ظهرت بشكل واضح في السياسة الخارجية الأمريكية، باعتبار أن هذه **البنية** وليست **الطبيعة البشرية**، هي المحدد والموجه **لسلوكيات الدول وخياراتها**.

- يطلق على هذه النظرية أيضا **النظرية الو اقعية البنيوية/ الهيكلية Structural Realism** ، أو **الو اقعية النسقية Systemic Realism**.

2. ما هو الدافع لظهور الو اقعية الجديدة؟ (النشأة والتطور)

كان لتطور عمليات الاعتماد المتبادل بين الدول خلال السبعينيات أثره في ظهور قدر كبير من الهجوم على افتراضات الواقعية التقليدية، وذلك لفشلها في تفسير مظاهر التعاون على المستوى الدولي، وهو الأمر الذي أدى إلى تطور داخل المنظور الواقعي فيما يعرف بـ"الواقعية الجديدة ."

ظهرت مع نهاية السبعينيات القرن العشرين كرد على الطروحات المثالية والسلوكية، نتيجة تزايد الانتقادات للافتراضات الأساسية للواقعية إلى الحد الذي توقع معه الكثيرون تدهور الواقعية كمنظور مهم داخل العلاقات الدولية .

إلا أن عددا من الأحداث والتطورات في نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات أعاد الاهتمام للواقعية على اعتبار أن افتراضاتها الأساسية لا تزال على درجة كبيرة من الصحة في تحليل السياسات العالمية.

وتمثلت هذه الأحداث الدولية في:

*-زيادة التوتر بين الشرق والغرب؛

*-استمرار سباق التسلح الأمريكي-السوفييتي؛

*-استمرار التدخلات العسكرية والتدخلات المضادة بواسطة القوى العظمى في أفريقيا وأمريكا الوسطى وجنوب شرق آسيا؛

وهكذا، وتحت تأثير المدرسة السلوكية في دراسة العلاقات الدولية، حدث تطور داخل الواقعية، بحيث أبعدت عن تفسير العلاقات الدولية بالرجوع إلى الطبيعة الإنسانية نظرا لكونه افتراضا من الصعب التحقق من صحته، ويعتبر **كينيث والتز** المؤسس لهذا الاتجاه، ويفسر فيه سلوك الدول بالرجوع إلى طبيعة النظام الدولي الفوضوي.

3. ماذا قيل عن الو اقعية الجديدة/ البنيوية؟

يعتبر **ميربو و سور**/ **Mirou & Soare** أن الواقعية الجديدة هي نسخة منقحة من الواقعية التقليدية، وأنه بالرغ م من توقعات البعض بأن تنهار النظرية الواقعية كنظرية رئيسية في العلاقات الدولية في ظل تطورات الواقع الدولي، فقد ظل النهج الواقعي مسيطرا في هذا المجال.

كما يشيران إلى أن رؤية الواقعية الجديدة تتداخل مع الواقعية الكلاسيكية في مسألة **التركيز على الأمن والطبيعة الفوضوية للنسق الدولي** كنقطة انطلاق، وهي الطبيعة الناتجة عن عدم وجود سلطة عليا فوق الدول تضبط سلوكها.

يعتبر المنظر الواقعي **جون ميرشـــايمر/ John Mearsheimer** أن **كينيث والتز** هو أبرز منظري العلاقات الدولية خلال النصف الثاني من القرن العشرين، وأن نظريته تقوم على افتراضين بسيطين:

- **الأول:** أن الدول هي الكيانات الفاعلة الرئيسية في السياسة الدولية، كما أنها تعمل في ظل نسق فوضوي، حيث لا سلطة عليا فوقها.
- **الثاني:** أن الدافع الأساسي للدول هو البقاء، والذي يمكن ترجمته بسعي الدول إلى حماية سيادتها، وبالتالي فإن كل دولة معنية كثيرا بموقفها في ميزان القوة الدولي، حيث تسعى دوما إلى أن تكون في حال تفوق نسبي إزاء منافسيها المحتملين، وهذا من شأنه يعزز من فرصها في البقاء.

4. الفرضية الأساسية للنظرية الو اقعية الجديدة/ البنيوية:

***-تنطلق من رفض والتزلو اقعية مورغانثو في قوله إن الطبيعة البشرية المتسمة بالأنانية تنعكس على صانع القرار الخارجي ومن ثمة على الخارجي للدولة**، وذلك:

- أنه من الصعوبة بمكان تحديد الطبيعة البشرية وفق معايير علمية صارمة، وأن التركيز على الجوانب الشخصية لصانع القرار ليس من شأنه أن يقودنا إلى فهم صحيح لحقائق العلاقات الدولية، أي أنها لا يمكنها تفسير حالة الفوضى، وإلا فكيف نفسر فترات السلم الطويلة التي نمور بها؟
- أن نركز على طبيعة بنية النسق Structure of System، لأنه حتى وإن اتسمت الشخصيات القائمة على صانع القرار بالسخاء على المستوى الشخصي فإنها ستكون مضطرة للتعامل بأنانية في مضمار السياسة الدولية باعتبار أن الأنانية هي طبيعة هذه السياسة، أي أن بنية النظام الدولي هي المحدد لسلوك الدول.

فعلى خلاف الواقعية التقليدية تجاهلت الواقعية الجديدة فرضية **الطبيعة البشرية**، وركزت على تأثير **طبيعة النسق الدولي**.

5. مرتكزات/ دعامات النظرية الو اقعية الجديدة/البنيوية:

- **اعتبار أن الفاعلين الأساسيين في النسق الدولي هم جماعات متباينة بتباين وحداتها (الدول):** ترتكز تحليلات الواقعيين على الدور المحوري للقوى العظمى داخل النسق الدولي باعتبارها الموجه لدفة السياسة العالمية والمحقق لتوازن القوى، أي أن الوحدات الدولية متشابهة من حيث سعيها إلى **البقاء** وتختلف فقط في القدرات، حيث أن توزيع القدرات، يحدد طبيعة النظام الدولي (أحادي، متعدد، ثنائي..)
- **اعتبار أن سلوك الدول يتسم بالرشد أو العقلانية، أو ما كان يطلق عليه موغانثو العقلانية:** الدول تعمل دوما وفقا لمنطق المصلحة الوطنية والتي تتجسد عادة في أهداف كالبقاء، والأمن، والتفوق النسبي.
- **اعتبار الدول وحدة واحدة كفاعل دولي**، طالما أن المشاكل المحورية للدولة ترتبط ارتباطا وثيقا بطبيعة النسق الدولي، فإن تصرفاتها ستأتي بطبيعة الحال استجابة لسلوكات القوى السياسية الدولية لا الداخلية.

- **أن النسق الدولي يتسم بالفوضى التي هي خاصة لصيقة ببنيته نظرا لعدم وجود سلطة عليا فوق الدول**، فالنسق الدولي عند والتز أشبه بحالة الطبيعة الهوبزية التي قوامها الفوضى.
- **التركيز في التحليل على معضلة الأمن**، باعتباره الهاجس الأساسي لكل الدول والذي يمثل إفرازا بديهيا لطبيعة النسق الفوضوي.

6. مؤسس النظرية الو اقعية الجديدة/ البنيوية -كينيت والتز Kenneth waltz (1924-2013)-

هو عالم سياسة أميركي (1924-2013)، درس في جامعات كاليفورنيا، وبيركلي، وكولومبيا، يعتبر المؤسس للواقعية الجديدة أو البنيوية من خلال مؤلفه نظرية السياسة الدولية عام 1979، الذي يعد قاعدة الأساس بالنسبة لهذه النظرية، ومرحلة جديدة في الفكر الأساسي للواقعية الجديدة الفوضوية للنظام الدولي .

حاول إعادة تكييف الواقعية التقليدية مع التطورات التي عرفتها الساحة الدولية في نهاية السبعينات استجابة للانتقادات السلوكية.

مفهوم القوة عند والتز: تؤكد **الو اقعية الجديدة** على استخدام **الأدوات الناعمة** في السياسة الخارجية، حيث تحل مكان **الأدوات الصلبة كالقوة العسكرية**، في حين ترى **الو اقعية التقليدية** أن **القوة غاية** في حد ذاتها، ولهذا تسعى **الو اقعية الجديدة** لتحقيق **توازن القوى**، ومن ثم على الدول أن تواجه **التهديدات** الأكثر إلحاحا، وتتطلب **حالة الفوضى** في النظام الدولي وعلى الدول أن تضمن استمرار امتلاكها **القوة** الكافية للدفاع عن **أنفسها**، ودفع حياتها ومصالحها المادية اللازمة **للبقاء**، ولذلك تسعى لتقوية **الاقتصاد**، وبناء **القوى العسكرية** على المستوى **الداخلي**، و**بناء الأحلاف**، وإضعاف الأحلاف المعادية على المستوى **الخارجي**.

البناء الفوضوي للنظام الدولي يقوم أن الدول تتعرض **للشك وعدم الثقة** فيما بينها وشعورها **بالتهديد- المعضلة الأمنية-** ، لذلك تلجأ **للتسلح** في إطار تنافسها والعمل على **تحقيق مصالحها**.

7. أهم الافتراضات الأساسية للو اقعية الجديدة/البنيوية:

- **المركزية البنيوية للقوة:** القوة ليست هدفا في حد ذاتها، بل وسيلة لضمان **البقاء وتحقيق التوازن** داخل النظام الدولي الفوضوي.
- **النظام الدولي فوضوي Anarchic** أي لا توجد سلطة عليا تنظم سلوك الدول، مما يجعل كل دولة تعتمد على ذاتها Self-help.
- **تحقيق التوازن هو غاية الدول:** الدول تسعى إلى **تحقيق توازن القوى** وليس الهيمنة المطلقة، وغالبا ما تنضم الدول الضعيفة إلى التحالفات المناوئة للقوى الكبرى لكبح نفوذها.
- **سلوك الدول عقلاني:** الدول تتصرف بطريقة عقلانية لحماية مصالحها وأمنها القومي، وليس بدوافع أيديولوجية أو أخلاقية.
- **هيكل النظام يحدد سلوك الدول:** أي أن موقع الدولة داخل بنية النظام الدولي يحدد نمط سلوكها وتفاعلاتها.

- **ما بعد الحرب الباردة:** بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، واجهت الدول خيارين:

-القبول بالهيمنة الأمريكية.

-أو السعي لتأسيس تحالفات موازية توازن تلك القوة الأحادية.

8. مستويات للتحليل/ أو نظرية الصور الثلاثة عند والتز:

-**الأول**: الأفراد صناع القرار، حيث يعتبر **والتز** أن جوهر الصراع الدولي يرجع إلى الطبيعة البشرية، وأن الحرب تأتي من مشاعر اندفاعية للإنسان، وستنتهي الحروب في حال توعية وتنوير صناع القرار.

-**الثاني**: البناء السياسي للدولة، فالحكومات توظف عيوب طبيعة التركيبة المحلية، وشكل النظام الحاكم في سلوكها الخارجي، أي أن سوء الحكم في الداخل قد يدفعها لمغامرات خارجية تهدأ من توترات الداخل، أما عدم سوء الحكومة فيعطي مشاركة للمواطنين في عملية السياسة الخارجية.

- **الثالث**: فوضى النظام الدولي، يحدث الصراع في ظل تعدد الدول ذات السيادة، والطموحات المختلفة لكل دولة، وسبل الدول في تحقيق أهدافها، وفي هذا الواقع فإن ميزان القوى هو وسيلة تحقيق مصالح الدول.

9. مقارنة بين و اقعية مورغانثو وو اقعية والتز:

وحدات المقارنة	و اقعية مورغانثو الو اقعية التقليدية	و اقعية والتز الو اقعية الجديدة/البنيوية
مصدر السلوك الدولي: لماذا تريد الدولة القوة؟	الطبيعة البشرية الأنانية لأن الإنسان يميل إلى القوة	بنية النظام الدولي لأنها تفرض على الدول مواصلة السعي إلى القوة
وحدة التحليل الأساسية	الدولة	النظام الدولي
مفهوم القوة	وسيلة للهيمنة	وسيلة للبقاء
طبيعة بنية النظام الدولي	التعددية القطبية	القطبية الثنائية

10. المفاهيم الأساسية للو اقعية الجديدة /البنيوية:

***-النظام الدولي الفوضوي International System Anarchic**

-الفوضى هي خاصية للبيئة التي تتفاعل ضمنها الدول، أي غياب سلطة مركزية فوق الدول.

- بالنسبة لوالتز هي ثابتة، فالنظام الدولي يتميز بالتفاعل بين الوحدات بوظائف متشابهة، ويبقى الاختلاف فقط في عنصر توزيع القدرات المادية.

***-بنية النظام الدولي Structure of the International System**

-يرى **والترز** يرى أن **بنية/ هيكل النظام الدولي** هي وحدات متفاعلة، وأنها هي المكون الرئيسي للنظام، الذي يجعل التفكير في النظام كله ممكنا، وهو الذي يحدد سلوك الدول.

-تعريف بنية النظام الدولي وفهمها يتم بالتعرف على كيفية توزيع الإمكانيات المادية تحت الفوضى، وأن أي تغيير في بنية النظام الدولي يمكن قياسه ومعرفته بالتحولات من توزيع قطبي إلى آخر.

***- توزيع القدرات Distribution of Capabilities**

-القدرات العسكرية والاقتصادية والتكنولوجية موزعة بشكل غير متساو بين الدول.

-هذا التوزيع هو ما يحدد مكانة الدولة في النظام الدولي (قوة عظمى، متوسطة، صغرى).

***- توازن القوى Balance of Power**

-التوازن هو الآلية الأساسية لتحقيق **الاستقرار** في النظام الدولي.

-تقوم الدول بإقامة **تحالفات** أو تعزيز قدراتها العسكرية لمواجهة أي قوة مهيمنة.

***- الأمن Security**

-الأمن من اختصاص الدول فقط.

-حسب والتز: في ظل الفوضى، الأمن هو الهدف الأسمى، لكن فقط عندما يكون بقاءه واستمراريته للدول مضمونا، وستبحث هذه الأخيرة عن أهداف أخرى مثل الهدوء، والربح والقوة.

***-الاعتماد على الذات Self-Help**

-في ظل الفوضى، لا يمكن للدول الاعتماد على الآخرين لضمان أمنها.

-لذلك، تعتمد كل دولة على قدراتها العسكرية والاقتصادية والدبلوماسية للحفاظ على بقائها.

***- عقلانية الدولة State Rationality**

-الدول فواعل عقلانية Rational Actors يسعون لتعظيم أمنهم وليس لتعظيم القوة فقط.

-أي أن **البقاء Survival** هو الهدف الأعلى للدول.

11. انتقادات الو اقعية الجديدة/ البنيوية:

رغم جهود والتز في إثراء النظرية الواقعية/ البنيوية، إلا أن اسهاماته لاحقتها الانتقادات، وتركز الجدل على أربعة من أوجه القصور، وهي :

1-غياب تسير طبيعة المصالح والتفضيلات: ربط والتز سلوك الدول ببنية النظام فقط، متجاهلًا العوامل الداخلية مثل الأيديولوجيا وطبيعة النظام السياسي.

2 -جمود في تفسير تغير النسق الدولي: العناصر الثلاث التي حددها والتز لبنية النسق (الفوضى، التشابه الوظيفي، توزيع القدرات) لا تفسر التغيرات والتحولات في النظام الدولي.

3- الخلط بين مستويات التحليل: المتغيرات بالوحدات (الدول) وتلك المتعلقة بمستوى النسق: اعتبر خصائص مثل: الأسلحة النووية والاعتماد المتبادل من خصائص الدول، رغم أنها ترتبط بالبنية الدولية.

4- عدم القدرة/القصور في تفسير النتائج: التحليل البنيوي يفسر الإطار العام لتوازن القوى، لكنه لا يفسر سلوك الدول في مواقف محددة. مثلا: الحرب الباردة، فبعد الح ع 2، أدى توزيع القوة إلى قيام هذه الحرب، ولكن الواقعية البنيوية لا تفسر:

- لماذا لم تدخل إحدى القوتين في عزلة؟
- أو تقسيم العالم إلى مناطق نفوذ سلمية؟
- أو اندلاع حرب عالمية ثالثة؟

من الو اقعية البنيوية إلى الاتجاهات المستحدثة في الو اقعية الجديدة:

على الرغم من كل الانتقادات الكثيرة التي لاحقت النظرية الواقعية الجديدة/ البنيوية، فإنها لم تتوقف عن التطور وإعادة بناء ذاتها، بل استمرت كإطار فكري مهيمن في تحليل العلاقات الدولية، وظهرت لها صور عديدة مستحدثة، تمثل الاتجاهات المستحدثة في الواقعية البنيوية.

واصل منظرو الواقعية من بعد **كينيث والتز** جهودهم لتجاوز أوجه القصور الذي تعرض له النموذج البنيوي، واستحدثت صور جديدة عديدة للنظرية الواقعية في إطار التصدي لحملات النقد العنيفة التي واجهتها، وكذا ارتباطا بالتطورات الهائلة والمتلاحقة التي شهدها عالم السياسة الدولية، وفي مقدمتها الحرب الباردة، واستتبعه من تغيرات في بنية النظام الدولي، ومن أبرز صور النظرية الواقعية خلال **مرحلة ما بعد بنيوية والتز** نجد: **الو اقعية الدفاعية والو اقعية الهجومية، والو اقعية الكلاسيكية الجديدة.**

ثانيا: الو اقعية الدفاعية Defensive Realism

1- تعريف الو اقعية الدفاعية:

تعتبر الواقعية الدفاعية أحد الفروع الأساسية للواقعية الجديدة، وقد تطورت كرد على بعض جوانب الواقعية البنيوية عند كينيث والتز مع التركيز على أن سلوك الدول لا يهدف بالضرورة إلى تعظيم القوة، بل إلى الحفاظ على الأمن وتجنّب التهديدات.

ترى أن النظام الدولي الفوضوي يدفع الدول إلى البحث عن الأمن قبل القوة، أي أن الهدف الأساسي للدول ليس الهيمنة أو التوسع، بل تحقيق توازنٍ يضمن بقاءها واستقرارها.

2- الافتراض الرئيسي للو اقعية الدفاعية:

تنطلق من أن الدول توسع من مصالحها السياسية في الخارج عندما تصبح غير آمنة بصورة متزايدة، وهي مجبرة على فعل ذلك، بسبب غياب الشعور بالأمن في ظل نظام فوضوي، يتميز بالشك والخوف المتبادل، الشيء الذي يجبر الدول على التنافس لكسب مزيدا من القوة بهدف توفير مزيد من الأمن .

يتزايد اقدام الدول على التوسع، إذا كانت فقيرة أمنيا، وتكون أقل إقداما إذا كانت غنية أمنيا .

من هذا المنظور يبرز الاتجاه الدفاعي للسلوك التوسعي للدولة في المجال الخارجي، بدافع توطيد الأمن أو شراء الأمن.

3- تطبيقات الواقعية الدفاعية في السياسة الدولية:

*- في عهد الرئيس **هاري ترومان** (1947م)، تبنت واشنطن **سياسة الاحتواء Containment Policy** بعد الحرب العالمية 2، ومثلت أبرز تجسيد للواقعية الدفاعية، وهي سياسة تهدف إلى **احتواء التوسع السوفييتي** ومنع امتداد النفوذ الشيوعي، عبر **بناء شبكة من الأحلاف العسكرية مثل:**

- حلف شمال الأطلسي (الناتو) 1949،
- حلف جنوب شرق آسيا 1954،
- حلف بغداد 1955.

*- خلال عهد **جون فوستر دالاس** (وزير خارجية أيزنهاور)، تم تطوير هذه السياسة إلى ما سمي بـ**استراتيجية الانتقام الشامل Massive Retaliation**، التي اعتمدت على **الردع النووي** كوسيلة للحفاظ على الأمن ومنع العدوان.

تستند هذه الاستراتيجية إلى منطق الواقعية الدفاعية، إذ ترى أن **امتلاك قدرات دفاعية وتكنولوجية متفوقة** يخلق شعورا بالأمن، ويدفع الدول إلى **اتباع سلوك عقلاني ومتزن** في العلاقات الدولية. وقد برّرت الولايات المتحدة سياساتها خلال الحرب الباردة بأنها **سياسات دفاعية وأمنية** تهدف **إلى احتواء الاتحاد السوفييتي وهزيمة الشيوعية** دون السعي إلى الهيمنة المباشرة.

4- أبرز رواد الواقعية الدفاعية:

***كينيث والتز Kenneth Waltz** : مؤسس الواقعية البنيوية، وأحد المهدين للواقعية الدفاعية، في كتابه "نظرية السياسة الدولية"، حيث أكد أن البنية الفوضوية للنظام الدولي تفرض على الدول السعي للبقاء لا للهيمنة.

يؤكدأيضا، أنه ليس من الحكمة أن تسعى الدول إلى تعظيم حصتها من القوة العالمية، لا سيما تلك الدول التي تسعى إلى اكتساب حجم هائل من القوة، والتي تسعى بتهور إلى الهيمنة، حيث ستسعى الدول العظمى الأخرى إلى تشكيل تحالفات مناوئة بغية تحقيق التوازن مع هذه القوة المتعاظمة، على نحو سيجعل هذه الأخيرة أقل أمنا، وربما ينتهي الأمر بتدميرها (ما حدث في فرنسا النابوليونية 1792-1815)، (ألمانيا الإمبراطورية 1900-1918)، ألمانيا النازية (1933-1945)= القوى المتعاظمة الساعية إلى الهيمنة هزمت في نهاية المطاف من قبل تحالف مضاد من القوى العظمة الأخرى.

***ستيفن والت Stephen Walt**: من أبرز المنظرين المعاصرين الذين طوّروا الواقعية الدفاعية في إطار **نظرية توازن التهديد Balance of Threat Theory** التي قدمها في كتابه: حقيقة **الأحلاف** عام 1987 **The Origins of Alliances .**

-**التحالفات** لا تتشكل استجابة **لتوازن القوة** فقط، بل **لتوازن التهديدات** Balance of Threat.

- **الدول** لا توازن ضد القوة العظمى لمجرد قوتها، وإنما ضد الدول التي تشكل **تهديدا حقيقيا** لأمنها.

-يعتمد التهديد في نظره على **أربعة** عوامل رئيسية:

-القوة الإجمالية للدولة (Aggregate Power.)

-القرب الجغرافي (Geographic Proximity.)

-القدرات الهجومية (Offensive Capabilities)

-النوايا العدوانية المتصورة Aggressive Intentions

-**الدول** تميل إلى سلوك دفاعي يسعى إلى **تحقيق** الأمن لا **الهيمنة**، وتوازن ضد التهديدات المحتملة عبر **التحالفات الوقائية أو الردعية**.

*-**روبرت جيرفس Robert Jervis**: من أبرز رواد **الو اقعية الدفاعية** في العلاقات الدولية.

-ركز على **دور الإدراك والتصورات** في تفسير سلوك الدول، في كتابه: **الإدراك وسوء الإدراك في السياسة الدولية عام 1976، Perception and Misperception in International Politics.**

-يرى أن **سوء الفهم والخوف المتبادل** قد يدفع الدول إلى التسلح رغم نواياها الدفاعية.

-يرى أن الدول تسعى أساسا إلى **الأمن** لا إلى **الهيمنة**.

-تناول قضايا **الردع النووي** والاستقرار الاستراتيجي

-كيف تؤثر **القدرات النووية في قرارات الدول وسلوكها الخارجي**.

5- أهم افتراضات الو اقعية الدفاعية:

-**النظام الدولي فوضوي**، لكن التهديدات المفرطة تؤدي إلى توازن ضد المعتدي.

-**القوة الز ائدة تثير الشكوك**، وتجعل الدول الأخرى تتحد لمواجهتها.

-**الردع والتحالفات الدفاعية**، أدوات رئيسية لحماية الأمن القومي.

-**الاستقرار النسبي**، ممكن بفضل توازن القوى ووجود إدراك عقلاني لمصالح الدول.

6- المفاهيم الأساسية للو اقعية الدفاعية:

-**الفوضى الدولية:** غياب سلطة عليا تنظم العلاقات بين الدول.

-**البقاء:** الهدف الأول للدولة هو الحفاظ على وجودها وأمنها.

-**معضلة الأمن:** كل محاولة لتعزيز الأمن قد تفسر تهديدا من قبل الآخرين.

-**توازن القوى:** الآلية الأساسية لتحقيق الاستقرار ومنع الهيمنة.

-**السلوك الدفاعي:** الدول تميل لتبني سياسات ردعية وتحالفية أكثر من كونها توسعية.

7- النقد الموجّه للو اقعية الدفاعية:

-تقلل من نزعة الدول إلى التوسع لأسباب أيديولوجية أو اقتصادية.

-تتجاهل عوامل غير مادية مثل الهوية والثقافة والإدراك.

-لا تفسر بعض السلوكيات العدوانية للدول الكبرى (مثل الحروب الاستباقية أو الغزو).

ثالثا: الو اقعية الهجومية Offensive realism

1- تعريف الو اقعية الهجومية:

أحد الاتجاهات المستحدثة في النظرية الواقعية الجديدة، طورت أساسا على يد العالم الأمريكي **جون ميرشايمر John J. Mearsheimer**.

تعتبر امتداد للفكر البنيوي الواقعي الذي أسسه **كينيث والتز**، لكنها تختلف عنه في نظرتها إلى سلوك الدول داخل النظام الدولي.

يرى **ميرشايمر** أن النظام الدولي الفوضوي يدفع الدول العظمى إلى تعظيم قوتها باستمرار، وليس فقط إلى الحفاظ على بقائها كما تقول الواقعية الدفاعية، لأن الدولة لا تستطيع التأكد من نوايا الآخرين، ولأن الدول تميل إلى السعي نحو الهيمنة الإقليمية ومحاولة منع ظهور منافسين محتملين.

تنطلق **الو اقعية الهجومية** من أن الدول تدرك الطريقة الأكثر مثالية لضمان **البقاء** في **الفوضى** التي يتسم بها النسق الدولي، **فتعظيم القوة النسبية** هو **الهدف النهائي** لتصبح أقوى بكثير من القوة المهيمنة، ومع ذلك لا يمكن لجميع الدول زيادة قوتها النسبية في وقت واحد، ومن ثم فإن النظام الدولي متجه لأن يكون ساحة **للمنافسة الأمنية** بين الدول طالما ما تزال **الفوضى** سائدة.

2- أبرزرواد الو اقعية الهجومية:

- **جون ميرشايمر**: كتاب: **مأساة سياسات القوى العظمى "The Tragedy of Great Power Politics**عام 2001 ، يعتبر المرجع الأساسي للواقعية الهجومية، ومن أكثر الكتب تأثيرا في حقل العلاقات الدولية بعد نهاية الحرب الباردة.

يتخذ موقفا مخالفا **للدفاعيين**، إذ يعتبر أنه من **المنطق الاستراتيجي** الجيد سعي الدول إلى **زيادة قوتها** كلما استطاعت إلى ذلك سبيلا، بل وعليها إن واتتها الظروف أن تسعى إلى **الهيمنة**.

ترتكز **قوة الدولة** على **الإمكانات المادية** التي تحوزها، كما أن ميزان القوة يعمل بصفة أساسية وفقا لقدرات الدول العسكرية حال ما تمتلكه من أسلحة نووية مثلا، غير أنه على الدول امتلاك صنف آخر من صفوف القوة، هو **القوة الكامنة latent power** والتي هي دعامة القوة العسكرية، وتتشكل من مكونات اجتماعية، واقتصادية مثل ثروة الدولة، وامكاناتها البشرية، وقدراتها التقنية.

3- الفرضية المركزية للو اقعية الهجومية:

- في ظل **فوضوية النظام الدولي Anarchy**، تسعى الدول الكبرى بشكل دائم إلى **تعظيم قوتها** العسكرية والسياسية لضمان **بقائها**، لأن الاعتماد على الآخرين لتحقيق الأمن محفوف بالمخاطر.
- ومن ثم، فإن سياسات **الموازنة Balancing**، أو **الاحتواء Containment**، أو **الردع Deterrence** لا تكفي لردع الدوافع التوسعية، إذ يظل منطق **البقاء والتفوق** هو المحرك الأساسي **لسلوك الدول**، فيسعى كل فاعل دولي إلى **خلق توازن عبر القوة والتحالفات** لضمان أمنه ومنع هيمنة الآخرين.

4- الافتراضات الأساسية للو اقعية الهجومية:

-**القوى العظمى هي الجهات الفاعلة الرئيسية** في السياسة العالمية، وتعمل ضمن منظومة **فوضوية**: لا توجد سلطة مركزية تحمي الدول.

-**جميع الدول تمتلك قدرة عسكرية هجومية**تختلف من دولة إلى أخرى، وتتغير بمرور الزمن.

-**الدول** لا يمكنها مطلقا أن **تتيقن من نو ايا الدول الأخرى**.

-**الهدف الرئيس للدول هو البقاء.**

-**الدول** أطراف **فاعلة عقلانية.**

5- فكرة المعضلة الأمنية عند الهجوميين/المأساة:

بالنسبة لميرشايمر تكمن المأساة في أن سعي الدول لتحقيق الأمن يؤدي إلى انعدام الأمن، أو ما يسمى بالمعضلة الأمنية Security Dilemma

فكلما زادت الدولة من قوتها لضمان أمنها، تشعر الدول الأخرى بالتهديد، فتعمد إلى التسلح بدورها، ما يولد دوامة من الصراع لا تنتهي.

لذلك يرى ميرشايمر أن الحروب والصراعات ليست نتيجة سوء النوايا، بل نتيجة منطق النظام الدولي نفسه –فوضوي-.

6- الهيمنة الإقليمية بدل الهيمنة العالمية:

يؤكد ميرشايمر أن الهيمنة العالمية مستحيلة بسبب العوائق الجغرافية والتكنولوجية، لكن الهيمنة الإقليمية ممكنة (مثل هيمنة الولايات المتحدة في نصف الكرة الغربي).

يقول ميرشايمر، أن الو م أ، كما نعرفها اليوم تكونت في الأساس بفعل الغزو في القرن 19، وهي أفضل نموذج للواقعية الهجومية، إذ امتدت من المحيط الأطلنطي إلى المحيط الهادي في حدود عام 1850، وحققت الهيمنة في نصف الكرة الغربية بين 1800-1900، أي أنها حققت الهيمنة الإقليمية في وقت مبكر= بتوسع حدودها البرية والبحرية وضم الكثير من الأراضي والولايات،...، لذلك تحاول القوى الكبرى منع ظهور قوة مهيمنة منافسة في مناطق أخرى (مثل محاولة أمريكا الحد من صعود الصين في آسيا).

رابعا: الو اقعية الكلاسيكية الجديدة Neoclassical Realism

1- تعريف الو اقعية الكلاسيكية الجديدة:

صاغ **جيدون روز/ Gideon Rose** مصطلح الواقعية الكلاسيكية الجديدة في مقاله: السياسة العالمية World Politics عام 1998، ويوضح معناها، في أنها: تتضمن صراحة كلا من المتغيرات الخارجية والداخلية في إطار عملية تحديث وترتيب منهجي لبعض الأفكار المستمدة من الفكر الواقعي الكلاسيكي .

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن نطاق وطموح السياسة الخارجية للدولة يتحددان في المقام الأول وفق مكانتها في النسق الدولة، وبصفة أساسية حجم إمكاناتها من القوة النسبية.

2- نشأة وتطور الو اقعية الكلاسيكية الجديدة:

نشـأت الواقعية النيوكلاسـيكية في تسـعينيات القرن العشـرين كامتداد وتطوير للواقعية البنيوية، تسـعى إلى سـد الفجوة بين التحليل البنيوي للنظام الدولي والتحليل الداخلي للدولة، من خلال دمج العوامل البنيوية (توزيع القوة في النظام الدولي) بالعوامل الوحدوية (تصورات النخب السياسية، والمؤسسات، وهيكل الدولة).

يرى جيدون روز أن الواقعية النيوكلاسـيكية تقدم إطارا أكثر مرونة لتحليل السـياسـة الخارجية، إذ تراعي المحددات الدولية والداخلية في آنٍ واحد، فهي تعترف بأهمية الفوضى الدولية، لكنها تؤكد أن تأثيرها يمر عبر عدسـة داخلية تتمثل في بنية الدولة وتقديرات قادتها.

3- أهم الاسهامات النظرية لجيدون روز حول الو اقعية الكلاسيكية الجديدة:

يعتبر **جيدون روز Gideon Rose** /، أن الواقعية الكلاسـيكية الجديدة، حيث تمثل أحد الضـروب المسـتحدثة في التيار الواقعي، إلا جانب كل من الواقعية الهجومية، والواقعية الدفاعية .

يرى أن اتجاه محلية السـياسـةInnenpolitik ، هو الذي يضـع العوامل الداخلية ذات الصـلة بالبنية السـياسـية للدولة (ضـغوطات الرأي العام، جماعات المصـالح)، في المقدمة كمؤشـر على سـلوك الدولة الخارجي، على عكس المدرسـتين الهجومية والدفاعية، اللتين تفسران سلوك الدولة الخارجي وفقا لضغوطات النسق الدول، إذ تنتميان إلى الواقعية الجديدة/البنيوية .

يعتبر **جيدون** أن النظريات الثلاث ربما تتسم بالوضوح والجرأة والقدرة على التنبؤ، غير أن تنبؤاتها تتسم بالتبسيط المفرط وعدم الدقة.

يؤكد **جيدون** على أن نظريته تتفوق مع تلك النظريات الثلاث، بدمجها في التحليل للمتغيرات المتعلقة ببنية النسـق مع تلك المتأصلة في البيئة السياسية الداخلية للدولة، باعتبار أن سلوك الدولة الخارجي هو محصلة تضافر كل هذه المتغيرات.

يهدف الواقعيون الكلاسـيكيون الجدد إلى تحليل كيفية تأثير ضـغوط النسـق الدولي، وكذا المتغيرات المتعلقة بمسـتوى الوحدة (بنية السياسة الداخلية، تصورات صناع القرار) على السياسة الخارجية للدولة.

في هـذا الإطـار برزت اسـهـامـات كل من: **راندال إشـولر/Schweller randall، توماس كريسـتنسـن/ Thomas Christensen، جاك سنايدر/ Jack Snyder....**

الإطار التحليلي للواقعية الكلاسيكية الجديدة يتمثل في تفسير سلوك السياسات الخارجية للدول، والذي يؤكد على فكرة أن سـلوك السـياسـة الخارجية للدولة هو ونتاج لضـغوط النسـق الدولي المتأثرة بالعوامل الداخلية المتعلقة بمسـتوى الوحدة /الدولة، على الرغم من ذلك تظل الواقعية الكلاسـيكية الجديدة كإطار نظري عام، في بؤرة التمحيص لأغراض التحليل التطبيقي وخصوصا ما تعلق بـ: **كيف تؤثر معتقدات القادة في سلوكهم؟ كيف يمكن قياس ذلك؟ وما هي العوامل الداخلية التي تؤثر في تقييم القادة لتحديات السياسة الخارجية؟**